الشهيد فيصل..
عرفت مسبره ومخبره

أحمد عبد الجبار
السفير السعودي بايطاليا

شرقت بالدمع وغصات الالم فالفاجعة تصهر وتعصر ٠٠٠ رباه !! من استذريت اليه وكنت على موعد للقائه واستئناف حظوة السر بمعيته كان ٠٠ رباه ٠٠ كما قضيت وكما شئت على موعد مع قدر قدرته فامتطى صهوة المغيب يغذ السير الى فردوس الخلود ، ٠٠

رباه ٠٠ لقد عرفته ٠٠ واحببته ٠٠ واخلصت له ٠٠

لانني عرفت مسبره ومخبره ، فالمعرفة كان هو راعيها والحب كان هو رمزه والاخلاص كان هو درعه ، أجل ٠٠ كان صلب ، الارادة حكيم الادارة ، صلد الزند قوى الشكيمة عنيدا في الحق ، ثاقب الفكر مرهف الحس ، حلو الحديث ، بعيد النظر ، امره كان نظرة لا نبرة وصمته بلاغة ولعله كان يخشى ان يشرح فيجرح ،

بلى ٠٠ كان فيصل بن عبد العزيز الملك الانسان والمعلم الهادى والاب الحنون والقائد الواعي والسياسي الفذ والرائد للخير والصبور الجسور ،

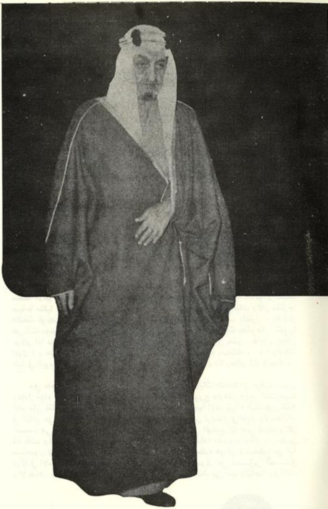

اجل ٠٠ كان الجهاد خدينة والاباء اهابه والصفاء طبعه ٠٠ وكان الامل عنده العمل ٠٠ وملاذه الله ونجواه التسبيح وصلاته الايمان ، وكان خشوعه وابتهاله للمغفرة والجار بمحو الاثم والجور ٠٠ اجل ٠٠ انه لم يسع للملك بل سعى هو اليه ، ولم ينشد العظمة ولكن ولدت معه ٠٠٠

ومضى ٠٠٠ وقضى ٠٠٠ وناى ٠٠٠
رباه !!

والآن ٠٠٠ لا قبلة ولا دبرة لذكريات الامس القريب البعيد ٠٠٠ اقبع واجثو على رمس دارة الوهج لاستلهم من القبيب واليانع من ومض لفه الرماد وتاجج واستعر تحت اديمه الجمر ٠٠٠

اذكر ٠٠٠ في عام ١٩٤٥ عندما رافقته لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو لانشاء منظمة الامم المتحدة كنت ساهرا بمكتبي في اوتيل فيرمونت بعد الساعة الثانية والنصف صباحا منكبا على الاوراق ٠٠٠ اذكر أنني شعرت بشخص يقف على الباب وكان مفتوحا فالتفت فوجدت انه الملك فيصل فبادرني – وانا أنهض احتراما – بالقول « ياولدى هل انت مجنون ؟ » فصعقت من السائل وجرحت من السؤال وقلت بحشرجة « نعم يا مولاى انا مجنون لانني أعمل والوقت للنوم وليس من يهتم او يقدر » فاجاب بحنان ابوى : « عندما قلت أنك مجنون لم اقصد الا عدم اكتراثك بصحتك » ٠٠٠ وذهبت اليه في اليوم التالي سائلا « هل انت غاضب مني ؟» فاجاب « انا زعلان لك لا منك »٠

وفي عام ١٩٤٧ عندما يئس العرب من اتخاذ الولايات المتحدة اى موقف متزن وعادل تجاه القضية الفلسطينية دعا جلالته الجنرال جورج مارشال وزير الخارجية الامريكي لمقابلته وعندما حضر قال له « يظهر ان الخارجية الامريكية والبنتاجون فشلا في التاثير على موقف البيت الابيض لان كفة رغبة الرئيس ترومان في الفوز بالانتخابات اصبحت هي الراجحة على مصالح امريكا ٠٠ ونحن نقدر الوضع الداخلي لديكم ولكن لنا طلب واحد » فاشرق وجه مارشال ظانا ان العرب بداوا المساومة وقال : « نحن مستعدون لاى شيء تريدون » فاستطرد الملك « كل ما نطلبه هو ان لاتضغطوا على اية دولة في الامم المتحدة للتصويت معكم وترك الدول تتصرف على اساس الحق والانصاف » فقال مارشال : « اعدك بشرفي اننا لن نضغط على أحد لاتباعنا » وكانت

النتيجة العكس تماما اذ قام ترومان بالضغط المباشر على ليبريا وهايتي والفليبين وعلى الاكثرية الساحقة من دول امريكا اللاتينية لتاييد تقسيم فلسطين ، وصدفة بعد حدوث ذلك بايام التقى جلالته بالجنرال مارشال في مصعد اوتيل والدورف استوريا تاورز بنيويورك حيث كانا ينزلان والتفت اليه قائلا : « لقد اعطيتني كلمة شرف بعدم ضغط امريكا على اية دولة لتحذو حذوها في تاييد التقسيم » فاجاب مارشال : «انني جندي» فعقب جلالته «كنت جنديا ياجنرال مارشال عندما كنت رئيسا لهيئة اركان الحرب الامريكية ولكنك وعدت بشرفك كوزير للخارجية » واعيدت رواية هذه الحادثة عام ١٩٥٢ في اوتيل والدورف استوريا للمستر دلاس بحضور هنرى كابوت لودج مندوب امريكا لدى الامم المتحدة آنذاك فقال دلاس « ان هذا نكث بعهد ، وكتب الملاحظة على دفتر صغير ولم تفد كتابة الملاحظة او الاعتراف بنكث العهد ولكن الرئيس ايزنهاور بموقفه المشرف تجاه الغزو الثلاثي ضد مصر عام ١٩٥٦ برهن عمليا بان اصوات اليهود الانتخابية في امريكا بالامكان عدم الاكتراث بها اذا كان الرئيس نزيها وجادا ووضع نصب عينيه مصلحة الولايات المتحدة فوق كلشيء خاصة ولان ايزنهاور اتخذموقفه ضد اسرائيل وانجلترا وفرنسا ليلة انتخابات الرئاسة ٠

واذكر ٠٠٠ ان جلالته قرر بعد تقسيم فلسطين في نوفمبر ١٩٤٧ عدم زيارة الولايات المتحدة في عهد الرئيس ترومان الذى كانت وزارة خارجيته بشخص المستر لوى هندرسون تفاوض العرب لتعديل مشروع التقسيم الى نظام وصاية بينما نزل هوبملابس نومه بصالون بلير هاوس للاعتراف باسرائيل٠ ولقد وفي الملك وعده ولم يزر امريكا الا بعد انتخاب الرئيس ايزنهاور عام ١٩٥٢ ٠

ومن ثم عاد لامريكا عام ١٩٥٧ لاجراء عمليات جراحية ولقد حدثت الازمة السورية آنذاك وتوترت العلاقات العربية ـ الامريكية ، وكان جلالته في اليوم الثالث بعد خروجه من المستشفى فامرني ان اتصل بوزارة الخارجية الامريكية لتحديد موعد له لزيارة الرئيس ايزنهاور والمستر جون فوستر دالاس وخلال زيارة الاخير اذكر انه بدا يفتح درجا بعد آخر من مكتبه ليقرا بتاثر ترجمة قصاصات من الجرائد السورية التي حملت عليه بقسوة وقال كيف يمكنني ان احسن العلاقات مع سوريا او اى بلد عربي اذا كانت صحفكم تهاجمني بهذا الشكل ؟ فابتسم الملك وقال : « يامستر دالاس لوكنا ـ نحن العرب ـ نعير اهتماما بما تكتبهعنا الصحفالامريكية وخاصة النيويورك

تايمس والهرالد تريبيون لقررنا منذ امد طويل ـ وانا في الطليعة ـ عدم التعامل مع الولايات المتحدة وساد الصمت وضحك دالاس وقال « معك الحق وانا مستعد لمقابلة بل دعوة السيد صلاح البيطار ـ وزير خارجية سوريا آنذاك ـ لزيارة واشنطن » وتمت الدعوة ، ولكن البيطار لم يقم بتلبيتها ·

واذكر انه عندما زار القاهرة عام ١٩٥٢ اى في مطلع العهد الجمهوري واجتمع بالرئيس محمد نجيب واعضاء مجلس الثورة قال لهم « اننا اصدقاء فاروق واصدقاء كل رئيس دولة عربية وكونكم اخترتم نظاما جديدا لكم فهذا من حقكم ونحن سنكون اصدقاءكم وسنؤيدكم ولكن لايعني هذا اننا سنتخلى عنمساعدة فاروق لتخفيف محنته كانسان كان عزيزا في قومه ودار به الزمان » وقال مرة للرئيس عبد الناصر « ارجوك ان تفهمني اذا كان الحاكم منا لا سمح الله معتوها فانا وابناء عبد العزيز سنحكم باسمه ولا نقبل ان يتدخل احد بيننا » ، وفي عام ١٩٥٩ دعاه الرئيس عبد الناصر للعشاء في منزله بمنشية البكرى وكنت بمعيته آنذاك واقتصرت الدعوة على الرئيس انور السادات وسفير المملكة بالقاهرة المرحوم الشيخ ابراهيم السليمان وشخصي ووصلت الي مائدة الطعام فوجدت ان كرسي ضيف الشرف خال ورأيت المرحومين الملك والرئيس متقابلين وعلى يسار جلالته الرئيس السادات وعلى يسار الرئيس عبد الناصر الشيخ ابراهيم السليمان فوقفت في المكان الخالي في الطرف الاخر وطلبت من « السفرجي » التلطف باحضار كرسي لي لكي اكون في آخر المائدة فقام الرئيس عبد الناصر وقال تعال الى هنا وتطلع الملك اليه ثم التفت الي قائلا « نحن هنا بامر الرئيس » فنفذ الامر والححت ان مكاني حيث اقف فاصرا فاطعت وجئت الى الكرسي والتفت اليهما قائلا يظهر انكما اتفقتما على ان لا اتعشى هذه الليلة وفعلا قبعت في الكرسي ولم يطب لي تناول اى شيء وكان ذلك في حد ذاته مجالا لهما للمداعبة والملاطفة وكنت الضحية وحضر في اليوم التالي الى قصر الطاهرة بعض افراد الجالية السعودية بالقاهرة لتناول الغذاء بمعية جلالته وعندما دخلنا الى غرفة الطعام وجلس جلالته على رأس المائدة التفت الي قائلا « اجلس امامي » فذهبت الى آخر كرسي واجبت « يامولاى لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فضحك واعاد قصة البارحة على الحاضرين الذين ادركوا كنه ما حدث ·

واذكر ··· ان الحديث على مائدته تداول مرة عن السن بالعام الهجرى او الميلادى ووجود فرق كبير لمن يرغب في تصغير سنه اذا كان الحساب بالعام الميلادى ، ولا انسى كلمته اذ قال : « سواء حسبتم بالسنة الهجرية او الميلادية فالعمر هو الايام والليالي التي يعيشها الانسان » · واذكر ان جلالته ـ رحمه الله ـ كان مولعا بالصيد وبتربية الصقور وسمى مرة احد الصقور « فرعون » مداعبة لمستشاره معالي الدكتور رشاد فرعون والثاني سماه « جبار » اشارة الى اسمي ، وحدث ذات ليلة ان نزع « جبار » مركاته وهو مبرقع وطار ولم يعثر عليه الا بعد ساعات في منطقة الرويس بجدة ·

وكان حديث هروب « جبار » من القصر وعودته مجالا للمداعبة والنخس الودى والملاطفة ·

وكان جلالته شغوفا بالتاريخ والادب والشعر والموسيقى وكان يوصينا دائما بضرورة احياء تراثنا الفكرى والثقافي والموسيقي ، وكان هو اول من اكتشف مقر سوق عكاظ التاريخي وحدد معالمه ··

واذكر ··· انه قال مرة لاحد اتباعه في نيويورك ليتني مثلك اتنقل حيث ارغب فاجاب الرجل متسائلا او تحسدني يامولاى ؟ فقال « ربما احسدك او انني اغبط كل من يتمتع بحريته الكاملة فانا تحيط بي القيود من كل جانب فلا انتقل الى مكان الا بترتيب ولا استطيع ان اذهب حتى الى حديقة عامة واجلس بمفردى كجميع الناس اقرا في كتاب او صحيفة » ···

واذكر ··· انه في الاسفار التي تشرفت فيها بمرافقته كنت الاحظ عنايته بجميع افراد الحاشية ويسأل عن راحتهم ويتفقد غرفهم بنفسه وطعامهم في بعض الاحيان

واذكر ·· انني ذهبت الى قصره بجدة الليلة الثانية بعد ثورة العراق عام ١٩٥٨ لعرض بعض البرقيات الهامة وكان الوضع في العالم العربي محفوفا

بالمخاطر وابصرت عدم وجود حراسة على المدخل الرئيسي اذ دخلت ولم يعترضني احد ووقفت عند الباب الداخلي فمربي احد الصغار فسألته عنه فقال انه هناك واشار الى مكان بعيد بالحديقة فمشيت الى حيث اشار الصبي فرأيته وحده ساهما يلتقط النجيل من الارض ويقصفه شطرا شطرا وابصرت ان خلفه السور المطل على طريق المدينة العام وبدون مقدمات انفجرت قائلا « حرام عليك يا مولاى ان تبقى هكذا فلا حارس ولا جهاز أمن بالقرب منك او حولك فاجاب باسما » « قل اولا السلام عليكم ٠ اما موضوع الحراسة فالله هو الحارس ، وعندما يحين الاجل فلن يقدم ذلك او يؤخر، ويا احمد ٠٠ الحاكم الذى لا يثق بشعبه يجب ان لا يحكم» ٠٠ فقلت : «يامولاى ليس ما افكر فيه الخوف من الشعب او العقلاء ولكن ما افكر فيه هم الافراد الذين لا عقول لهم ٠ فقال رحمه الله » : « الاجل هو الاجل » ٠٠٠

واذكر ٠٠ انه من الغريب ايضا انني عندما كنت بمكتبه بالرياض في السابع من مارس ١٩٧٥ نظرت الى «ماصة» جلالته امام الباب مباشرة وقلت «الا تستحسنون جلالتكم نقل الماصة الى الجهة المقابلة ؟ فسأل لماذا ؟ فاجبت ان الاطباء يقولون ان القراءة والنور على يمين القارىء افضل للعين والاحظ ان النور على يساركم » فلم يجب بكلمة وصمت ٠٠٠ ولكن ما كنت افكر فيه هو سلامته ٠

هكذا عرفته وهذه بعض ذكرياتي بمعيته ومعه ومهما قلت او قيل فالحرف لن يفي التعبير عن خلقه وسيرته ٠٠ فلقد كان رحمه الله كما يجب ان يكون الملك وكما

يجب ان يكون الانسان اجمل حديث يصغى اليه بجميع حواسه الحديث عن المغفور له والده الملك عبد العزيز والحديث الذى يهز مشاعره ماساة فلسطين وفقدان القدس ٠

عرفته ٠٠٠ وعرفت فيه كنه الحقيقة ومعنى المثل والقيم ٠٠ علمنى ان الصحراء ليست سرابا بل قبسا ٠٠٠ وعرفت من اهابه ظلال هيبته معنى المحبة الصادقة التي كان يضفيها على جميع اسرته وافراد شعبه ، وعرفت فيه الرجل الذى اسبغ على المفازة اريج الورود وجعل الصحراء تمرع بالخير والقلوب تعمر بالمحبة والدنيا تلتفت اليه انى كان لتصغى وتهرع الى رحابه لتنهل من حكمته وتنال من رفده اجل لم تعد الرمضاء قسطل الصادى ولا سراب المنايا ، ولكننا بعد فقد الفيصل اصبح كل منا يعيش وفي نفسه الرمضاء وعلى أهدابه سراب الضياع ٠

رباه !! انك نعم المولى ونعم النصير امرت وقدرت ٠٠٠ اعطيت ٠٠ واخذت ٠٠ فاسكنه فسيح جناتك وانزله منازل الصديقين والشهداء ٠٠٠

رباه ٠٠٠ عزاؤنا بخالد وبفهد وابناء عبد العزيز وآل الفيصل ٠٠٠ كما قدرت سنسير وبقدرتك ٠٠٠ سنصير ٠٠ لقد حملوا راية الدعوة ٠٠٠ والدعوة هي الدارة ونحن لها وبها ومنها ٠٠٠ فاكتب لنا ٠٠٠ يارب ـ حسن المآل والمصير ٠

روما : احمد خليل عبد الجبار